مـــؤشرات أهمية دراســة الفكـر الجغـرافـي

أ.م.د.حنان حسين دريول
الجامعة المستنصرية - كلية التربية الاساسية - قسم الجغرافية
hananhussan75@uomustansiriyah.edu.iq

مستخلص البحث:
يهدف البحث إلى إبراز مؤشرات أهمية دراسة الفكر الجغرافي من خلال تحليل أبعاده المعرفية والمنهجية والتطبيقية، وتسليط الضوء على دوره في تطوير أدوات التحليل المكاني وفهم التحولات التي شهدها علم الجغرافية. كما يمثل الفكر الجغرافي الإطار النظري الذي تستند إليه الدراسات الجغرافية في تفسير الظواهر المكانية وتحليلها، إذ يعكس تراكمًا معرفيًا تطور عبر مراحل تاريخية متعددة، أسهمت في بلورة مناهج وأساليب البحث في هذا العلم. ومع تسارع التحولات العالمية، لم يعد بالإمكان فهم المشكلات المكانية بمعزل عن الأطر الفكرية التي تفسرها. يعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي من خلال تتبع تطور الفكر الجغرافي عبر مراحله المختلفة. وإبراز العلاقة بين الفكر الجغرافي والتخصصات العلمية الأخرى، ومدى تأثيره في معالجة القضايا المعاصرة. وتوصل البحث إلى أن فهم الفكر الجغرافي يمثل ضرورة علمية لتعزيز القدرة على تفسير الظواهر المكانية، وتطوير مناهج البحث الجغرافي، فضلاً عن كونه أداة فاعلة في دعم اتخاذ القرار التخطيطي. ويوصي البحث بضرورة إدماج الفكر الجغرافي في المناهج الدراسية وتكثيف الدراسات التي تعيد قراءة التراث الجغرافي بما يتلاءم مع متطلبات العصر.

الكلمات المفتاحية: المعرفة الجغرافية، الفكر الجغرافي ،ماهية الفكر الجغرافي، ثنائية الجغرافية

المقدمة:
يُعدّ الفكر الجغرافي أحد الركائز الأساسية التي تقوم عليها الدراسات الجغرافية المعاصرة، إذ يعكس تطور المفاهيم والنظريات التي أسهمت في تفسير العلاقات المكانية والظواهر الطبيعية والبشرية عبر الزمن. حيث يمثل الفكر الجغرافي الأساس المعرفي الذي يستند إليه علم الجغرافية في تفسير الظواهر المكانية، وقد مرّ هذا الفكر بمراحل تطور متعددة، بدأت بالاتجاهات الوصفية التقليدية، مرورًا بالحتمية البيئية، ثم الإمكانية، وصولًا إلى المناهج الكمية والسلوكية والنقدية المعاصرة. وقد أسهمت هذه المراحل في بلورة مجموعة من الثنائيات التي شكّلت جوهر النقاش العلمي داخل الجغرافية. وتبرز الثنائيات في الجغرافية بوصفها تعبيرًا عن جدلية معرفية أسهمت في تطوير الفكر الجغرافي، إذ لم تعد تمثل حالات تعارض بقدر ما أصبحت إطارًا تكامليًا لتفسير الظواهر. وتمثل منطلقًا لبناء مؤشرات دراسة الفكر الجغرافي، مثل: التكامل المعرفي، تطور المناهج، القدرة التفسيرية، وكفاءة التحليل المكاني. وبالتالي، فإن فهم هذه الثنائيات يسهم في تعزيز التحليل الجغرافي المعاصر، خاصة في ظل التحديات الحضرية والبيئية التي تتطلب رؤى علمية متكاملة، فثنائية (الطبيعي/البشري) تعكس ضرورة فهم التفاعل بين الإنسان والبيئة، في حين تشير ثنائية (الوصف/التحليل) إلى التحول نحو اعتماد المناهج العلمية الكمية. كما تبرز ثنائية (الحتمية/الإمكانية)

في تفسير العلاقة السببية، بينما تعكس (النظري/التطبيقي) أهمية الربط بين المعرفة والتطبيق. مما يجعل دراسة الفكر الجغرافي ضرورة علمية وليست ترفًا نظريًا.

بناءا على ما تقدم يمكن تأطير الدليل العلمي للبحث كما يلي:

اولا:مشكلة البحث

على الرغم من التطور الكبير في أدوات التحليل الجغرافي، إلا أن هناك ضعفًا في توظيف الفكر الجغرافي كإطار نظري يوجّه الدراسات التطبيقية ، مما يؤدي إلى قصور في تفسير الظواهر المكانية ومعالجة مشكلاتها.

وعليه تتمحور مشكلة البحث حول التساؤل الآتي: ما مؤشرات أهمية دراسة الفكر الجغرافي، وما دوره في تطوير التحليل الجغرافي ومعالجة القضايا المكانية المعاصرة؟

ثانيا:فرضية البحث

يفترض البحث ان لمؤشرات اهمية دراسة الفكر الجغرافي دورا فاعلا في التحليل الجغرافي وتعزيز قدرته على تفسير ومعالجة القضايا المكانية المعاصرة ،بحيث كلما زاد توظيف هذه المؤشرات بشكل منهجي علمي ،ارتفعت كفاءة التحليل الجغرافي في تشخيص المشكلات المكانية واقتراح الحلول لها.

ثالث:أهداف البحث

إبراز مفهوم الفكر الجغرافي وتطوره التاريخي.

تحديد مؤشرات أهميته في الدراسات الجغرافية المعاصرة.

رابعا: منهجية البحث

اعتمد البحث على منهجية علمية تجمع بين اكثر من منهج جغرافي فكري لتحقيق اهداف البحث وتشمل :

1. المنهج الوصفي الموضوعي: لعرض وتحليل مفهوم الفكر الجغرافي ومؤشرات اهميته، من خلال تتبع تطوره التأريخي واسهاماته في بناء المعرفة الجغرافية ودوره في تطوير التحليل الجغرافي.

2.المنهج الاستنباطي المقارن: من خلال الانطلاق من الاطر النظرية للفكر الجغرافي لاستنتاج دوره في التحليل الجغرافي ،ثم مقارنة هذا الدور في الاتجهات الجغرافية المختلفة .بهدف تفسير مدى اسهامه في معالجة القضايا المكانية المعاصرة.

المحور الاول: المعرفة الجغرافية وماهية الفكر الجغرافي

منذ أن خلق الله الانسان على سطح هذا الكوكب بدأت رغبته في استكشاف بيئته وإمكاناتها ، ويرجع الفضل في ذلك إلى أن للإنسان حاجات ضرورية، لا بد أن يسعى لتوفيرها كالمشرب والمأكل والمأوى والملبس، وهذه أمور تتطلب منه معرفة المنطقة التي يعيش فيها، فالذهاب إلى مكان معين والعودة منه أمران يتطلبان من الإنسان أن يكون على بينة ومعرفة بالعلاقات المكانية التي تسهل له الحركة، والعلاقات المكانية جزء من علم الجغرافيا. ولم يقف الإنسان في العصور القديمة عند حد التعرف على البيئة، بل حاول تفسير وجود الظاهرات الطبيعية التي تحيط به وتنتشر حوله، ولكن هذه التفسيرات اعتمدت على الخيال أحيانًا فجاء بعضها نوعًا من الخرافات والمعتقدات الغريبة (الفقي،1999،ص14)

ارتبطت المعرفة الجغرافية منذ اقدم العصور بحياة الإنسان على سطح الأرض وسعيه الدائم لفهم بيئته الطبيعية والتكيف معها والتنقل في ارجائها بحثاً عن المأوى والغذاء والكساء وهو ما تطلب منه التعرف على عالمه المحيط به وما يحتويه من إمكانات وموارد وهو ما اكسبه معرفة ذات صبغة جغرافية، اذن الفكر الجغرافي قديم قدم الإنسانية ذاتها على وجه الأرض ،وترى الباحثة التفكير الجغرافي إذن قديم قدم الإنسانية ذاتها، والمجهودات التي قام بها المفكرون من أجل تفهم الظاهرات الكونية المحيطة بهم، وتفهم مركز الإنسان بين هذه الظاهرات، تعتبر المنشأ الأول للجغرافيا. حيث ان سكان في شرق البحر المتوسط، كانوا من أوائل الذين أسهموا في تطور المعرفة الجغرافية؛ وما يدعم ذلك ان أقدم الحضارات التي عرفتها الإنسانية نشأت فيها .

ماهية الفكر الجغرافي

يعد الفكر الجغرافي من اكثر المواضيع الرئيسة اهمية لدى الجغرافيين باعتباره المعني برصد طبيعة علم الجغرافيا وماهيته وحدود ابحاثه، بالإضافة الى الكشف عن العلاقة بين علم الجغرافيا وبين مختلف العلوم الأخرى لذلك على الباحث للجغرافي الإلمام بكل ما يطرأ على المعرفة الجغرافية من تغيرات وتطورات وان كل ما دون او نقل من معلومات طبيعية او بشرية منذ فجر التاريخ يمكن ان يصنف ضمن وعاء الفكر الجغرافي ، وهذه المعلومات المدونة او المنقولة تصل الى الاجيال اللاحقة تقوم بتقويم الفكرة وتطويرها ، بالإضافة الى ان مسيرة تطور الفكر الجغرافي طويلة ولم تشهد انقطاعا بل كانت مستمرة عبر مراحل الزمن، ويعد الفكر الجغرافي بصورته الحالية هو نتاج الحضارات الإنسانية قديما وحديثها وذلك عن طريق علمائها **(محمدين والفرا،2013،ص26)**

بناءا على ذلك يمكن تعريف الفكر الجغرافي بأنه المساهمات والمنجزات الفكرية والفلسفية التي قدمها علماء ومفكري الجغرافيا عبر العصور المختلفة من خلال دراساتهم عن الأرض والسماء وما بينهما والتي قادت الى تشكيل حقل الجغرافية . سيما وان الفكر الجغرافي منذ أقدم العصور اعتمد على أساسين :الأول يتعلق بالفلك والأجرام السماوية التي لاحظها الإنسان واستدل بها في أسفاره فكانت بمثابة أول بوصلة استعان بها في حياته. والثاني هو من خلال إدراك العلاقات المكانية التي يسرت الكشف الجغرافي، ولقد ظل هذين الاساسان قاعدة الفكر الجغرافي منذ أقدم العصور وحتى مطلع العصور الحديثة (رزقانة واخرون،1967،ص45)

يحتاج كل علم من العلوم الى ابراز قضاياه التي تمكنه من الذود عن مكانته وبالتالي استدامة عطاناته المعرفية والجغرافيا كأحد العلوم في المنظومة المعرفية بحاجة الى كشف مضمونها الفكري وبيان ميدانه الذي يقدم فيه ابداعاته النظرية والتطبيقية ومن الصعب ايجاد فروق ما بين الجغرافية والفكر الجغرافي وهذا يعود الى العلاقة الوثيقة التي تربط بين الاثنين فهما وجهين لعملة واحدة بل ان كل منها يقود الى الاخر ويتداخل معه، ومن أجل تحديد جوهر العلاقة الحقيقية ما بين الجغرافيا والفكر الجغرافي يمكن القول ان الفكر الجغرافي هو الجغرافيا بالقول وان الجغرافيا هي فكر جغرافي بالفعل، اي بمعنى أن علم الجغرافيا يمثل الاجتهاد العلمي الذي يتولى مهمة التعبير عن الفكر الجغرافي و تحقيق اهدافه(الجخيدب،2012،ص3) ، وكذلك ان الجغرافيا تعنى بدراسة التنوع والفكر الجغرافي يتضمن العديد من الافكار التي يجري توظيفها في تفسير تنوع الرؤى المختلفة وفهمها

والتفريق بينها على ارض الواقع من هنا جاءت العلاقة ما بين الجغرافيا والفكر الجغرافي . ان صياغة تعريف محدد للجغرافيا يضعها بين العلوم التجريبية والانسانية ليس بالأمر الهين والسبب في ذلك كثرة التعريفات الخاصة بها او بسبب الصعوبة التي تعيقها كونها علماً لا يمكن دراسته بمعزل عن العلوم الأخرى، فبينما يرى بعض الجغرافيين ان تداخل الجغرافيا مع باقي العلوم يعطيها قوة جغرافية وبالتالي شخصية واضحة ويرى آخرون أن ذلك يقلل من اهميتها العلمية ويجعلها عديمة الشخصية ولا ترتكز على اسس علمية خاصة بها ، ويمكن ادراك حجم هذه الصعوبة بمجرد محاولة تعريفها وان اشمل التعريفات المناسبة للجغرافيا هو انها العلم الذي يهتم بدراسة وتحليل سطح الارض واكتشاف مميزاته وتبايناته المكانية وتطوراته وادراك العلاقات المتبادلة والانماط التي يتخذها توزيع الظواهر الطبيعية والبشرية **(ابو شامة، وابو سليم،2022)**،ان الفكرالجغرافي مر بالعديد من المراحل التي تطور خلالها ،يعتبر موضوع الفكر الجغرافيا من المواضيع الاساسية والمهمة بالنسبة للجغرافيين لأنه موضوع : يحدد ماهية علم الجغرافية وحدود ابحاثها وعلاقتها بالعلوم الاخرى .

ويمكن تتبع اسس الفكر الجغرافي من خلال الاتي:

1. الكشف الجغرافي والذي ركز فيه الإنسان على الحضارات القديمة، وتم كشف عن جُغرافية العالم القديم؛ فتوصل بفضل ذلك إلى الحضارة الفرعونية في مصر، والبابلية في بلاد ما بين النهرين
2. رسم الخرائط لاماكن معروفة: فمن خلال الاستطلاع والاستكشاف سجل المعلومات الوصفية للاماكن الجغرافية من خلال دعمها بالرسم الجغرافي، وتحديد خطوط طول ودوائر عرض، الأمر الذي سهل عليه رسم الخرائط.
3. التأمل في المادة العلمية سيما التي تمثلت عند الإغريق واليونان، من خلال التعمق في المواد العلمية، اعتمادا على وصف الأرض.
4. ظهور مدارس الفكر الجغرافي ومن أهمها:

- **المدرسة الحتمية الجغرافية** التي تتمحور فكرتها حول أن الإنسان ينساق لحكم الأرض والبيئة المحيطة به، فتؤثر في سلوكه ونشاطه، بمعنى أدق يرى علماء هذه المدرسة أن البيئة الجغرافية سيدة الإنسان.
- **المدرسة الاحتمالية أو التعددية أو الإمكانية أو البشرية؛** وتركز في مبدئها على أن الإنسان هو العنصر المؤثر بكل ما يحيط به، وله قدرة كاملة على إحداث تغييرات في البيئة المحيطة به متى شاء، وبالمستوى الذي يرغب به هو، وبذلك فإن الإنسان هو العامل الجغرافي الإيجابي المؤثر في سطح الأرض.
- **المدرسة الاقليمية**: ترتكز فكرتها على أن العنصر البشري وبيئته عنصران مكملان لبعضهما؛ إذ تؤكد على ضرورة حدوث تفاعل بينهما لحدوث التكامل. **(خصباك،1986،ص20)**

المحور الثاني: تطور الفكر الجغرافي

اولا: التطور التاريخي للجغرافية

وقد خضعت الجغرافيا كغيرها من العلوم لكثير من التغيير والتطوير كما عانت أيضاً من اختلاف العلماء والمفكرين في عدم التحديد الدقيق لتعريفها ووظيفتها ومفهومها ، بل نجد أن لكل مجموعة من العلماء والمفكرين تعريفاً لعلم الجغرافيا. لعل تعريف الجغرافيا بأنها علم وصف الأرض هو أقدم تعريف لها ، بل أنه التعريف المستمد من المعنى الحرفي لكلمة " جغرافية Geography " المشتقة من الجذور الإغريقية Geo بمعنى الأرض و Graphy وتعنى وصف ، والمعنى الإجمالي هو وصف الأرض .وهناك مآخذ كثيرة على هذا التعريف ابرزها ان هذا التعريف يجعل من الجغرافية علما وصفيا مجردا بعيد عن اسس العلوم التطبيقية الحديثة المبنية على اساس التحليل والاحصاء ، وهذا التعريف يحصر الجغرافية في اطر ضيقة جدا وقد اثبت هذا التعريف خطأه في الوقت الحاضر الذي اخترقت به الجغرافية جانب الوصف ودخلت الساحة العلمية بقوة وثبات لتساهم في حلحلة مشاكل المجتمع والبيئة ويكون لها صوت مسموع في الوقائع والمحافل العلمية **(الصفار،1981،ص21).**

العلاقة بين الانسان والبيئة الجغرافية

لقد تميزت الجغرافية بعلاقتها مع البيئة بكل مفرداتها بما فيها البيئة الاجتماعية التي تعبر عن الوسط الذي ينشأ فيه الفرد الذي يحدد شخصيته وسلوكياته واتجاهاته والقيم التي يؤمن بها. وللاهتمام بالبيئة تاريخ موغل في القدم ، فمنذ أن وطأت قدم الإنسان ارض البسيطة بدأت اهتماماته بالبيئة المحيطة به على اختلاف اتجاهاتها وأبعادها ، لان هناك تلازما بين البعد الجغرافي وغريزة الاكتشاف وحب الفضول لدى الإنسان ومنذ بدأ الخليقة والحس الجغرافي ملازم للإنسان ، ففي العصور الحجرية اهتم الإنسان بتدوين رسوماته على جدران الكهوف ،(المظفر ،2005،ص23-24)، فضلا عن تحديد مناطق الصيد والخطر المحدق به من كل جانب ومكان ، وخطى الحس الجغرافي خطوات واسعة بعد اختراع العجلة واكتشاف الزراعة وتطور البشرية . ومع تقدم المراحل الزمنية وتطور الحضارة الإنسانية ازداد اهتمام الإنسان ببيئته وتوسعت اهتماماته واكتشافاته وأفكاره ومعارفه وأصبحت الرحلات التجارية والعلمية والدينية من أهم وسائل جمع المعلومات عن البلدان والأماكن الأخرى ، ولاشك ان وصف البلدان من الناحية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية كانت المهمة الرئيسة للجغرافيون العرب أنذاك.

الفكر الجغرافي لدى العرب المسلمين: يعد مصطلح (جغرافيا) في اللغة العربية حديث نسبيا ، حيث ان علماء العرب والمسلمين كانوا يستعملون مصطلح وصف الأرض أو خريطة العالم أو المسالك والممالك بدلا من كلمة الجغرافية . لقد تأثر المفكرون العرب بظهور الإسلام وتعاليمه ، لان الأخير قدم منظومة حياتية متكاملة للمجتمع الإنساني ومجموعة من المبادئ والقيم والتعاليم السامية التي لو تهيأت لها فرص التطبيق العملي فإنها حتما تؤدي الى إصلاح المجتمع وتنظيم واقعه الاجتماعي ومعالجة حالات الانحراف الاجتماعي بشتى أنواعه ، ومن ثم سعادة الفرد وتصحيح مسيرته العقائدية . ولاريب ان الدافع الرئيس لقوة الحضارة الإسلامية وتجدد ثقافتها هو ما غرسه الإسلام من طاقات

إبداعية خلاقة جعلت المسلمين يؤثرون ايجابا في البيئات التي حملوا لها رسالة الإسلام . لقد ظهرت البدايات الأولى للجغرافية الوصفية في الشرق العربي ابان القرن الثاني للهجرة على ايدي المتخصصين في علوم اللغة والأدب ، رغم ان بعض المؤرخين نافسوهم في هذا المجال مثل ابن قتيبة الدينوري (٢٧٦هـ - ٨٨٩م)، كما ان المؤرخون الجغرافيون في المغرب العربي اهتموا بكتابة الجغرافية الوصفية ويأتي في مقدمتهم الرازي الذي وضع قواعد علمي التاريخ والجغرافية معا . وبمرور الزمن وجد أدباء وكتابا وعلماء أسهموا في إثراء المعرفة الجغرافية الإسلامية دون ان يكونوا هم أنفسهم جغرافيين سيما وانه يتفق مع مقتضيات الواقع الذي لم يعترف بالتخصص الدقيق الذي نعرفه الآن في مجال العلوم ، فالجاحظ على سبيل المثال وهو يعد من أعظم المفكرين والأدباء في زمانه ضمن كتابه الكثير من المعارف الجغرافية بل انه اصدر كتابا في الجغرافية الإقليمية أسماه كتاب البلدان وكتب رسالة قيمة في الجغرافية التجارية اطلق عليها (التبصر في التجارة) وينطبق ذلك على اخوان الصفا في بغداد، ففي رسالتهم معلومات قيمة عن الظواهر الجغرافية المختلفة . ويمكن تفسير سبب تزايد اهتمام المثقفين المسلمين بالكتابة في الجغرافية كون هذا العلم كان يعد من بين فنون الادب بصورة عامة كما ان المعارف الجغرافية كانت لا تقل أهمية في تكوين المثقف المسلم عما كان يلم به من علوم وآداب وثقافة (الشامي،1999،ص84).

ثانيا : تطور الفكر الجغرافي

ساهمت بلدان كثيرة، وحضارات متنوعة في نمو وتطور المعرفة الجغرافية. من خلال مساهمة كل شعب بقدر ما سمح به تطوره وتقدمه الحضاري. وجاء معظمه متأثرًا بخصائص البيئة المحيطة والظروف الطبيعية. ولكى نتعرف على تطور المعرفة الجغرافية ينبغي لنا أن نتتبع بعض نماذج الاهتمامات الجغرافية لدى الشعوب القديمة (وهيبة،1979،ص8-9)،لا يمكن ان نحدد تاريخاً معيناً تعده البداية الأولى لتطور الفكر الجغرافي، حيث ان المعرفة الجغرافية تتمثل في معرفة الانسان للأرض وما يحيط بها وهذه بدأت منذ ان بدأ الانسان محاولة التأمل بوعي وادراك في الظواهر الطبيعية المحيطة بها والبحث عن امكانية البيئة لاستثمارها. ومن هنا يمكن الربط بين بوادر الفكر الجغرافي وبداية تلك المرحلة سيما ان الفكر الجغرافي قديم قدم التاريخ البشري غير انه كان محدداً وفق حركة الانسان وبناءا على هذه المحدودية نتجت عوامل عديدة منها كفاية مقومات البيئة لمعيشة الانسان بسبب قلة عدده فضلاً عن محدودية معرفة الانسان بظروف البيئات الطبيعية

(الهيتي واخرون،1985،ص12) بدأت الجغرافيا مع بداية تواجد الانسان على كوكب الأرض في شكل علم وصفي وتطورت مع تطوره الفكري والفلسفي، اذ ان الانسان كان يمارس المعرفة الجغرافية منذ انشاء نواة مجتمعاته البدائية وهذه المعرفة كانت نتيجة للتأثير المتبادل بين الانسان وبيئته فسعي الانسان الأول الدائب للحصول على غذائه كان يتطلب منه بالضرورة استكشاف بيئته الصغيرة والتعرف عليها ، (الدليمي ومحمد،2021،ص53)

كما أن مطاردة الحيوان كانت تكشف له دوماً بقاعاً جديدة وكان يصحب هذا الانتشار اتساع في الافق الجغرافي ومعرفة أماكن جديدة من الأرض بمختلف مظاهرها الطبيعية من تضاريس ومناخ ونبات وحيوان، وكان الانسان يفكر منذ القدم في ترجمة معرفته

الجغرافية بالأرض إلى رموز ثابتة فاهتدى إلى الخريطة وهي الى يومنا هذا اداة اساسية للجغرافي وقد وجد المكتشفون خرائط لمواقع معينة لدى بعض الشعوب البدائية امثال الاسكيمو والهنود الأمريكيين وبعض سكان جزر بولينيزيا **(خصباك،1986،مصدر سابق،ص11)**،واستمر الانسان في استكشاف بقاع الأرض عن طريق مغامرته وفضوله وبحثه عن الغذاء منذ العصور القديمة، ولم يكتف بما موجود على سطح الأرض والذي يمثل الطريق الأول الذي سلكه الانسان في طريق المعرفة بل سلك طريقاً آخر تمثل بمراقبة السماء والنجوم وان اجتذبته النجوم والكواكب وخاصة الشمس والقمر اللذان يرتبط بهما تعاقب الليل والنهار وتغير الفصول فقد وضع الانسان بموجب ذلك تقاويم بسيطة أساسها عدد خاص الظواهر الجوية المرتبطة بتلك النجوم والكواكب ليحسب ويحدد مواعيد عمله وخاصة مواسم الزراعة . وهكذا يتضح بأن الافاق المبكرة للمعرفة الجغرافية اتخذت مسارين **(فضيل واخرون،1990،ص63)**

الأول : التصق بالأرض واستكشاف بقاعها .

الثاني : تطلع نحو السماء لاستكشاف نجومها وكواكبها عن طريق التعرف على نظام تحركاتها والاستفادة منها في حياته اليومية .

اسهمت الحضارات القديمة في العديد من المعارف الجغرافية وفيما يلي استعراض لأبرز الحضارات القديمة واسهاماتها :

أ ـ **الحضارة العراقية القديمة :** تعد حضارة وادي الرافدين من الحضارات القديمة في الشرق الأدنى، والتي ظهرت منذ حوالي الألف السادس قبل الميلاد، تميزت هذه الحضارة بقيامها عند نهري دجلة والفرات اللذين لعبا دوراً كبيراً في قيامها وقد ساعد وجود هذين النهرين على استقرار الانسان وارتقاء حضارتهم وعاصرت حضارة بلاد ما بين النهرين الحضارة المصرية حيث ان الظروف الجغرافية كانت متشابهة في كلتا الحضارتين غير أن في بلاد ما بين النهرين كان نهري دجلة والفرات يغيران مجراهما باستمرار اما في مصر فهناك فقط نهر النيل . وقد عاش في منطقة ما بين النهرين عدد من الممالك منها سومر وأكد وبابل وأشور، حيث مارس السومريون الزراعة المتطورة في السهل الرسوبي بالقرب من الخليج العربي معتمدين على الري الصناعي مما حداهم الى التركيز على شق القنوات والترع وقد رافق هذا التطور الزراعي تطور في العلوم ومنها الجغرافيا، أما البابليون فهم اهم من أسهموا في الفكر الجغرافي في بلاد ما بين النهرين اذ مساعد تنوع المظاهر الطبيعية المختلفة من انهار وبحيرات وسهول على تنوع المعرفة الجغرافية لديهم **(سعيد واخرون،2011،ص31)** ، لذلك فان الفكر الجغرافي العراقي القديم تميز بروابط مشتركة بين اتجاهات المعرفة المختلفة للفكر الجغرافي وهذا بحد ذاته يعد مؤشراً يدعم كون الفكر الجغرافي نتاجا عالميا برزت فيه بعض الحضارات دون غيرها تبعا لما توفر من معارف لهذاجاء الفكر الجغرافي العراقي القديم بجوانب متعددة من المعرفة الجغرافية ومنها العناية بمسألة خلق الأرض والسماوات ورسم الخرائط ومعرفة الاتجاه وقياس الزمن **(الجميلي،2011،ص10)** . فقد كانت معرفة حضارة بلاد ما بين النهرين بالأرض محدودة نوعاً ما فقد اعتقدوا بأن الأرض تشبه قفة

مقلوبة طافية على محيط من الماء وانها قد برزت من المياه وهي : طبقات واعتقدوا أيضاً أن مركز الكون يقع في منابع نهر القرات كما ادركت حضارة وادي الرافدين تأثير الظواهر الطبيعية مثل الانهار في تحديد الموضع الامثل لبناء مدنهم ونظراً للأهمية الاقتصادية والسياسية للأنهار فقد اتخذ السومريون من مجاري الأنهار اماكن لقيام مدنهم حيث كانت المدن لديهم تقع بين نهري دجلة والفرات كما أن سكان مدينة بابل اقاموا موقع مدينتهم بالقرب من نهر الفرات **(خصباك ،مصدر سابق ،ص19)**، واهتموا كذلك بالمواصلات النهرية اذ اقام الاشوريون مدينة النمرود على ضفاف نهر دجلة وشيدوا لها ميناء، وفي الألف الرابع قبل الميلاد استخدم العراقيون القدماء الزوارق في النقل الماني واخترعوا الشراع للاستفادة من قوة الرياح في الدفع . وفي مجال الخرائط رسم البابليون خريطة هامة جذبت الانتباه واثارت الدهشة بشكل كبير نظراً لأنها تكاد تكون احدى العجائب وهي ترجع الى القرن السادس قبل الميلاد اذ يتضح فيها أن البابليون كانوا يتصورون أن العالم قرص مستدير يحيط به البحر من جميع الجهات واطلقوا عليه اسم بحر المياه المرة، اما خارج قرص العالم المستدير يوجد سبع جزر منتشرة من حوله وهي تمثل معابر الى الدائرة الخارجية تحيط بذلك بحر، واطلق البابليون على الدائرة الخارجية اسم المحيط السماوي، ووضعوا بابل في مركز القرص المستدير او السهل الدائري في اشارة الى ان بابل هي مركز العالم ولا غرابة في ذلك اذ ان جميع الأمم في التاريخ القديم كانوا يتصورون أن عاصمة بلادهم هي مركز العالم بأسرها، ويظهر في الخريطة ايضا نهر الفرات وهو يجري باتجاه الجنوب نابعاً من الجبال وفي طريقه يمر ببابل ثم من بعدها يشق طريقه إلى المستنقعات، وكذلك يظهر فيها عدة دوائر صغيرة كتب في داخل احداها اسم أشور كما تحتوي الخريطة على مثلثات منقوشة حول القرص المستدير وهي تشير إلى البلاد والاقاليم الاجنبية، ويعتقد بعض الكتاب ان الدائرة تمثل تصويراً للخليج العربي وبحر الخزر والبحر الأسود والبحر المتوسط، وفي هذه الخريطة وضع صانعوها الاتجاهات الأصلية عليها اذ عبروا عن ذلك برسم عدة رووس تخرج من المحيط السماوي حيث ان هذه المحاولة بشأن تحديد الاتجاهات تعتبر اقدم محاولة من نوعها في العالم ، ويمكن ايجاز الاسم العلمية للفكر الجغرافي العراقي القديم بما يأتي**(خصباك،ص12-14)** :

1 - ربط الفكر العراقي القديم بين ما يوجد فوق سطح الأرض وما شاهده في السماء .
2 - تصوروا الأرض بهيئة نصف كرة مقلوبة او قبة طافية في المحيط .
3- قسموا السماء الى طبقات وكذلك الأرض .

ب - الحضارة المصرية القديمة :

تعد الحضارة المصرية من أقدم الحضارات البشرية ولا تدانيها في قدمها سوى حضارة بلاد ما بين النهرين حيث أن المحفزات الطبيعية في كل من البلدين متشابهة من حيث التأثير والطبيعة المحفزة للاستئثار بقابليات الانسان واستثمارها، وقد ظهرت الحضارة المصرية منذ عصر ما قبل الاسرات أي في الفترة المقابلة لفجر السلالات في العراق منذ ثلاثة الاف سنة قبل الميلاد **(ابو العال،ص118)** برع المصريون القدماء إبان عصر الحضارة الفرعونية العريقة في كثير من المعارف التي طبقت شهرتها الافاق وما زالت محل تقدير واعجاب العالم في أيامنا هذا، وقد احتوت هذه المعارف على

المعرفة الجغرافيا صنعتها طبيعة مصر التي يميزيها نهر النيل بفيضانه الصيفي وبما يحمله من طمى كون واديه خصب ومناخه معتدل وسماؤه صافية الأمر الذي مهد لحياة الاستقرار وقيام الزراعة، وقد وضحت المعرفة الجغرافية عند المصريين القدماء في ما توفر لديهم من معلومات جغرافية عن مصر والدول المحيطة بها في شمال افريقيا والساحل الشرقي لبحر المتوسط وغربي اسيا **(الجميلي،مصدر سابق،ص301)** ، كما عرف المصريون جزر البحر المتوسط حيث كانت سفنهم تنتقل بين جزر بحر ايجة لاستيراد منتجاتها فقد كان المصريون القدماء بارعين في الرحلات البحرية وقد ارتبط ذلك بهبوب الرياح الشمالية في عكس اتجاه نهر النيل ويتعدد المسطحات المائية المحيطة ببلاد مصر المتمثل بالبحر المتوسط والبحر الاحمر وأيضاً ارتبط بوجود البردي والاخشاب التي صنعوا منها قواربهم وقد توفرت للحضارة المصرية مقومات ودوافع ساعدت على تقدم المعرفة الفلكية فقد أغرى صفاء جو مصر وانبساط الصحراء بجانب النهر الناس على التأمل في حركات الاجرام السماوية، اما بخصوص الدوافع فكانت الحياة الاقتصادية القائمة على الزراعة والمرتبطة بنهر النيل وراء الاهتمام بمقومات المعرفة الفلكية اذ ان المصريون منذ القدم ربطوا بين ارتفاع منسوب نهر النيل وتعامد الشمس وانتقالها الظاهري إلى الشمال بمعنى انها كانت تقترب بتعامدها من مركز الحضارة المصرية القريبة من مدار السرطان مركز تعامد الشمس صيفا **(ابراهيم،2000،ص40)**،فكان الربط بين اقتراب الشمس وزيادة مياه نهر النيل دافعاً فلكياً يقودهم لمراقبة الشمس ومعرفة الوقت الذي سيعود فيه الى تعامدها وقد افادهم ذلك الى القيام بمحاولات لتحديد الوقت ومعرفة فصول السنة مستعينين بحركة النجوم ومواعيد ظهورها ومنها نشأت فكرة التقويم لدى قدماء المصريين،كما انهم قسموا السنة الى اثني عشر شهراً و ولهذ يعد التقويم المصري اقدم تقويم دونته البشرية،اذ يعود تاريخه الى اكثرمن ستة الف عاما**(فضيل والمشهداني، مصدر سابق،ص83-84)**.

اما ما يتعلف بتصورات المصريين القدماء عن شكل الأرض فقد اعتقدوا بأنها مستطيلة الشكل وانها اشبه بقاع صندوق طويل يمتد بأتجاه شمالي - جنوبي وان سطحها مستو او مقعر وعلى هذا الطول المستطيل يجري نهر النيل في حوض ضحل. اما فيما يختص من الخرائط فكان للمصريين القدماء دور ملحوظ في هذا المجال لا يتناسب مع دورها في مجال الفكر الجغرافي انهم عرفوا المساحة التفصيلية منذ القدم العصور بدافع الاهتمام بتقدير الضرائب المستحقة**(خصباك،ص13)**

ج- حضارة اليونانية: فاليونانيون من الأقوام الكثيرة التي تعرف بعائلة لغاتها الارية او اللغة الهندية الأوربية، ان الشعوب التي تتحدث بهذه العائلة اللغوية ليست من جنس واحد، ويرجع كثيراً أن مهدهم القديم كان في مكان ما في الواحات ومناطق المراعي في جنوب روسيا الى بحر قزوين والبعض يرجع أن مهدهم الأصلي هو وادي الدانوب الاعلى وبحوالي بداية الألف الثاني قبل الميلاد بدأت فروع من هذه الأقوام تهاجر من مهدها الأصلي، بسبب الجفاف والقحط الذي حل بموطنهم الأصلي ، ان الظروف البيئية في بحر ايجة ساعدتهم على قيام أول حضارة اوربية حيث اتاح لهم بحر ايجة حماية بحرية كافية كما ساهم الموقع الجغرافي المميز لبلادهم على البحر المتوسط في سهولة الاتصال بكافة ارجاء العالم القديم، ولطبيعة بلادهم بما فيها من جزر وسواحل متعرجة وجبال اثر

كبير على فكرهم الجغرافي **(الدليمي،2021،ص151)** ، واستغرقت مرحلة العلوم اليونانية تسعمائة عام حيث بدأت حوالي القرن السادس قبل الميلاد وانتهت في نهاية القرن الثالث الميلادي، وقد مرت منذ نشأتها بمراحل من الازدهار والضعف وبعد القرن الرابع قبل الميلاد ذروة الازدهار في الحضارة اليونانية حيث بلغت الامبراطورية اليونانية اوج توسعها على يد الاسكندر المقدوني وعند ظهور الفلاسفة اليونانيين وابرزهم افلاطون وارسطو ثم بعد ذلك مرت بفترة ضعف بتفكيك امبراطورية الاسكندر بعد موته ورضوخ اليونان تحت الحكم الروماني. ناقش العلماء اليونانيون مسألة شكل الأرض وحركتها بالتفصيل، وتعد النظرية التي جاء بها فيثاغورس واتباعه من أوائل النظريات الهامة عن الارض وهى التى تقول بكروية الأرض مستندين الى الايمان والمنطق اكثر من الادلة العلمية، وقال الفيثاغوربون ان الارض ليست مركز الكون معتمدين على مصدر النور لان باعتقادهم ينبغي أن يكون مركز الكون مضيئا وساكناً فلا بد ان تكون هناك نار مركزية تقع في وسط الكون تمد الشمس بحرارتها، وقد اهتم الفلاسفة ايضاً ببحث كروية الأرض وايدها كل من سقراط وافلاطون وارسطو الذي وضع ادلة تؤيد كرويتها ومنها:**(الجواري،2012،ص6)**

1. اختلاف دوران السماء باختلاف عروض البلدان أي ظهور نجوم واختفاء الأخرى كلما سار الانسان شمالاً وجنوباً .
2. نجاح الرياضين في قياسهم لمحيط الارض وهذا مؤشر صحة الكروية .
3. ظهور ظل الأرض المستدير على سطح القمر اثناء خسوفه الجزئي . اما في مجال الجغرافية الطبيعية فقد ناقش الجغرافيون والمفكرون اليونانيون مختلف الظواهر الطبيعية المتعلقة بالارض مثل المناخ والبحار والأنهار والمد والجزر والارساب النهري والزلازل والبراكين وايضاً العلاقة بين اليابس والماء وغيرها (الجواري،المصدر نفسه،ص7)

د- الحضارة الرومانية: تعد الحضارة الرومانية او روما القديمة من اهم حضارات اوربا بعد الحضارة الاغريقية ولا يعرف المؤرخون كيف ومتى قامت روما لكنها كانت تبسط سيطرتها على جميع شبه جزيرة إيطاليا جنوبي ما يعرف الآن بفلورنسا وكان ذلك عام 275 ق .م ، وخلال القرنين التاليين تمكن الرومانيون من بناء امبراطورية امتدت لما يعرف الان باسبانيا حتى جنوبي اسيا عبر الساحل الشمالي لأفريقيا وضموا فيما بعد كل ما تبقى من أوربا الى امبراطوريتهم وبدءاً من القرن الثالث ق م دخلت الرومان في صراعات وحروب مع الاغريق والقرطاجيين في البحر المتوسط وانتهت هذه الصراعات والحروب بسيطرة الرومان على كامل بحر المتوسط وتوسعت رقعتهم في كل من أوربا واسيا وافريقية امتدت من الجزر البريطانية وسواحل اوربا الغربية على المحيط الأطلسي غرباً الى بلاد الرافدين وساحل بحر قزوين شرقاً ومن شمال جبال الالب شمالاً إلى الصحراء الكبرى والبحر الاحمر جنوباً وقامت الامبراطورية الرومانية على الطرق التي ربطت روما بالشرق وباوربا، واعتمد الرومان على أصول المعرفة الاغريقية وكانت لهم اهتماماتهم الخاصة مثل الاهتمام بالقياس والخرائط. وكانت الجغرافيا هي العلم الوحيد الذي استطاع أن يجذب انتباه الرومان وينال اهتمامهم، اما عن شكل الأرض وموضعها من الكون فبعض كتاب الرومان افاد من الحقيقة الجوهرية الخاصة بالارض وهي كونها كرة فقد اجمع كافة الباحثين الرومان ومنهم

بطليموس وبليني بأنها كروية الشكل ومستقرة في مركز الكون، وفي مجال وصف نظام الكون اعتقد بعض المفكرين الرومان بأن الكون سرمدي خالد و ان النجوم مقدسة و لها تأثير على حياة البشر و ان الشهب والنيازك توضح مستقبل الشعوب على الأرض، كما انهم اهتموا بدراسة الشمس لكونها تؤثر على اغلب المظاهرالأرضية بشكل رئيسي **(كلوزييه،1982،ص33)**

كما اهتم الرومان بدراسة القمر وقالوا انه قريب جداً من الأرض وانه اصغر منها فيما نالت ظاهرة المد والجزر اهتمام الرومان بسبب اطلالتهم البحرية واعطوها تفسيرات متنوعة منها ربطها بأوجه القمر، وعن فيضان نهر النيل عزا سترابو ذلك الى امطار صيفية تسقط على الحبشة، وعن سبب حدوث البراكين اعتقد سترابو انه يحدث بفعل قوة الرياح الحبيسة داخل الأرض ورجح ان جزر البحر المتوسط انفصلت عن اليابس بفعل الزلازل والبراكين، وفي رأيه انه يمكن للزلازل ان تقضي على برزخ السويس وتفتح الطريق بين البحر المتوسط والبحر الاحمر، وكانت معلوماتهم على درجة كبيرة من الدقة، اما في مجال رسم الخرائط فرغم معرفة الزومان بالمناهج العلمية في انشاء الخرائط إلا ان الخرائط لم تكن في نظرهم إلا وسيلة تخدم اغراضهم في الحكم والادارة، وتعد لوحة بوتنجر من أشهر خرائط الطرق الرومانية والتي رسم في عهد الامبراطور كاراكالا الذي حكم في القرن الثالث الميلادي عندما كانت الامبراطورية تمتد من البرتغال الى الهند، اذ كانت تشير الى الاقطار والمدن واشكال السواحل لكن بدلاً من ان تمثل حسب الطريقة الكارتو غرافية المنطقية فقد مثلها على شكل تعاقب افقي من الغرب الى الشرق دون ان تأخذ بعين الاعتبار المقياس التقريبي ولا الحدود الجغرافية كماانشا الرومان خريطة أخرى للعالم عرفت باسم (مساحة العالم) التي تعكس وجهة نظرالرومان الى العالم باعتباره قرصا مستديرة تتوسطه روما **(كلوزييه،نفس المصدر ،ص34)**

المحورالثالث: الثنائية في الجغرافية كأحد مؤشرات تطور الفكر الجغرافي

تعد الثنائية احدى المؤشرات المهمة للفكر الجغرافي من خلال دورها في تحليل التباين المكانيمن خلال فهم العلاقات المكانية المعاصرة وتحليلها .ومن خلال ما تمثله الجغرافية بكونها علماً واحداً هو علم المكان ، حيث يدرس علم المكان (الجغرافية) ظاهرات عدة ، يدرسها مجتمعة في المكان ضمن ابعاده الفلسفية ، ويكشف أنماطا وعلاقات مكانية ، منهجه واحد وأبرز ما فيه النظرة التكاملية إلى الظواهر الطبيعة والإنسانية مجتمعة ومتفاعلة في اطار المكان) بغية اظهار صورة نظام المكان والإرشاد الى ما يصيب الصورة من خلل والتشويه اذا وان علم المكان أو الجغرافيا ينظرللحقائق والعلاقات مجتمعة في اطار المكان بقوانين تفرضها طبيعة المكان نفسه ، أي طبيعة مكوناته الاساسية أو البنيوية ، وبالرغم من قدم المعرفة الجغرافية ، والتي يبلغ عمرها الآن نحو الألفي سنة أو أكثر ، إلا أن الفكر الجغرافي الحديث هو وليد جهود فلاسفة الموضوع وخلاصة أبحاثهم منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ، لأن ما حدث من تطورات وتغيرات في مفاهيم ومناهج وأساليب بحث الجغرافيا منذ ذلك التاريخ وحتى الوقت الراهن يفوق كل ما حدث من تطورات خلال القرون السابقة من عمر العلم ولا يعني هذا أن أفكار الجغرافيين الأقدمين لم يكن لها دور في التطور الفكري لعلم الجغرافيا ، مفهوم الجغرافيا وهدفها بدرجة كبيرة من الدقة عندما أيقنت بوجوب اهتمام

علم الجغرافيا بكل من الموقع location والترابط المتبادل بين مختلف الأماكن على سطح الأرض باعتبارها أجزاء من كل واحد (الشمري،2012،ص64)

ولقد تعرض علم الجغرافيا لارتباك علمي عندما تعرضت أفكار كل من " همبولت " و " ريتر " لبعض الانتكاس بظهور فكرة الازدواجية Dualism التي فصلت بين ظاهراته الطبيعية وظاهراته البشرية **(غانم ،2013،ص124)**،وقد وضع راتزل أساس المدرسة الجغرافية الحتمية ، أو ما يعرف بالحتمية البيئية Environmental-Determinism ويؤسس الجغرافيا البشرية ، وفي المقابل ظهرت المدرسة الجغرافية الإمكانية Possibilism في فرنسا على يد فيدال دى لابلاش DeLaBlasch الذي كان يرى أن البيئة ليست مظهراً أرضياً طبيعياً physical-landscape بل مظهر أرضى حضاري، وهذا المظهر الجغرافي هو في الواقع موضوع علم الجغرافيا **(وهيبة،1980،ص17)**.

وفي الدراسات الحديثة نجد ان الجغرافيون بالغوا بالثنائية فهي لم تعدو ثنائية واحدة بل ثنائيات متعددة وهي**(الشمري،2012،ص64)** :

1- ثنائية (الطبيعي والبشري)
2 - ثنائية (الاصولي والإقليمي)
3 - ثنائية (الجغرافية الوصفية والجغرافية التحليلية)
4 - ثنائية الامكاني والحتمي
5 - ثنائية الجغرافية احادية الموضوع والجغرافية متعددة المواضيع
6 - ثنائية الجغرافية التاريخية والجغرافية المعاصرة
7 - ثنائية الجغرافية النظرية وجغرافية التطبيق المكاني

ومن الضروري دراسة العلاقات السببية فيما بين ميادين الطبيعة المختلفة وظاهراتها المتباينة التي توجد في مكان واحد**(الفيل،1972،ص37)** من خلال ايجاد الترابط السببي الإجمالي لمختلف الظاهرات المكونة لهذه النظم من ناحية أخرى ، فإنه قد أظهر أن مادة الجغرافيا الإقليمية تستمد من الدراسات الأصولية ومن ثم يكون قد أكد وحدة منهج البحث الجغرافي **(الفيل،ص85)**

ويكون الفرق بين اقليمية الظاهرة وعالميتها وحجم علاقاتها وارتباطاتها بغيرها من الظاهرات من خلال المكان، ومن ثم فلا يوجد تناقض في الحقيقة بين المتهمين الاولى والأقليمي إلا في كون الأول تحليلي والثاني تركيبي ، وهذه هي طبيعة المنهج الجغرافي والدراسة التحليلية ضرورية لتفهم كيفية التكوين البدائي لظاهرات سطح الأرض، بمعنى أنه لابد من وجود قدر من الإقليمية لفهم الأصولية ومن ثم تتكامل الدراسة الجغرافية لتصبح عملة واحدة ولها وجهين أصولي وإقليمي ، وهذا هو المنهج التكاملي للعلم ، وان دراسته حسب العناصر الجغرافيا العامة وحسب المناطق الجغرافيا الإقليمية كانت ضرورية ومهمة للجغرافيا وبدرجات متساوية **(الفرا،1983،ص49)**

حيث تعتمد أي دراسة جغرافية طبيعية كانت أو بشرية أو اقتصادية على طريقتين لوصف وتحليل وتفسير الظاهرات الجغرافية ، الأسلوب الأول هو الأسلوب الوصفي الذي يعتمد على خبرة الباحث الجغرافي ، وكلما زادت خبرة الباحث وقدرته على الوصف زادت درجة الثقة في نتائج الدراسة

المتحصل عليها أما الأسلوب الثاني فهو الأسلوب الكمي) أو الاحصائي ويستخدم في تحليل وتفسير الظاهرات الجغرافية عن طريق مدلولات الأرقام (الفرا،1983،ص64) ، أن الأساليب الإحصائية تتعامل مع الارقام لذلك فهي الأدق في تفسير الظاهرات الجغرافية .ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين ، اثر الاهتمام المتزايد باستخدام الأساليب الكمية والنماذج الرياضية والهندسية في تقييم الحجم والأثر الكمي للظاهرات الطبيعية والبشرية في الدراسة الجغرافية فهي محاولة لجعل الجغرافيا علما وظيفياً يخدم الفرد والمجتمع لذلك تمثل الثورة الكمية واحدة من نقاط التحول الرئيسية للجغرافيا المعاصرة لا سيما وانها شهدت تغييراً مريعاً في الأساليب المستخدمة لإجراء الأبحاث الجغرافية وكان لها الفضل في الانتقال من الجغرافيا الوصفية (المقارنة بالذات) إلى الجغرافيا القائمة على وضع القوانين بشكل تجريبي **(الجوهري،ص15).**

ان المنهج الوصفي أدى الى وقت قريب خدمات جليلة للمعرفة الجغرافية تمثلت في دراسات ميدانية غالباً ماكانت اقليمية مكنت من التدرج الى المرحلة التالية كما تجد دراسات جد قيمة في هذا الباب تناولت عدة مناطق بالعالم خلال العقود السابقة مكنت الجغرافية من دخول مرحلة ثانية أكثر نضجاً هذا النوع من الدراسات أصبحنا نشده اليوم بحكم تطور الاساليب وتطور تقنيات المعرفة كالصورة والاستشعار عن بعد وغيرها من التقنيات الحديثة بالاضافه الى تطور الاتصالات ووسائل الاعلام - المنهج الكمي أدى إلى انتقال الجغرافية من مرحلة الوصف والجمع والتركيم الى مرحلة المعالجة وتحديد العلاقات والاختبار واستنباط القوانين الفعل في الواقع وتحويله والتحكم فيه المنهج الكمي لايعوض المناهج الأخرى ولا ينفيها وانما يكملها ويتكامل معها ينجح حيث تخفق هي الأخرى ويعجز حيث تتألق في مواضع أخرى فكل المناهج لها مكانها في التحليل والحفل المعرفي ، ولا يمكن الاستغناء عن منهج أو أخر ، ويستحسن تعدد المناهج لدراسة الظاهرة الواحدة لان الواقع والحقيقة بدورهما متعددي الجوانب ويتعدد المناهج والمقاريات تتوضح الرؤيا أكثر وتلم بكل أبعاد الواقع المتشعب **(جاد،2010،ص55)**، ونحن عندما تدخل البعد الزمني في الدراسة الجغرافية فنحن ازاء فرع من فروع الجغرافية يعرف بالجغرافية التاريخية الذي يهتم بدراسة الظواهر الطبيعية والبشرية في الماضي ، ويقبل هذا الفرع جميع فروع الجغرافيا ولذلك يقسمه بعض الباحثين في علم الجغرافيا الى قسمين كبيرين :

أولهما جغرافية الحاضر أو الجغرافية المعاصرة ، وثانيهما جغرافية الماضي أو الجغرافية التاريخية . ويد تعريف الجغرافي الأمريكي " ساور " لها من أكثر التعاريف شمولية ومنطقية حيث يعرفها بأنها (دراسة جغرافيات الماضي كلها للمنطقة المراد دراستها) ، وذلك منذ العصور الحيولوجية وند، ظهور الانسان ثم من خلال عصورها التاريخية بدءاً من المرحلة البدائية وانتهاء الى الوقت الحاضر الذي نحن فيه حتى تتمكن من فهم جغرافياتها الحالية والواقع أن الجغرافيا التاريخية في مجموعة جغرافية كاملة كما عبر عنها هنتر فقال (ليست هناك جغرافيا واحدة بل هناك جغرافيات تاريخية) ، ولا تعني كلمة تاريخية ها صلة الجغرافية التاريخية بالتاريخ بل استخدمت الكلمة هنا بمعنى الماضي **(فرحان واخرون،1991،ص123)**

وخلاصة ما تقدم من ثنائيات قمنا باستعراض البعض منها ، تؤكد أنه ينبغي على الجغرافين في دراساتهم المحافظة على الوحدة المقدمة للجغرافية التي تقر على عدم امكانية فصل الجغرافية البشرية عن الطبيعية ولا يجوز دراسة البشري بمعزل عن الطبيعي وكذلك عدم دراسة الطبيعي بمعزل عن البشري ، ويصور هذا الازدواج او الانقسام صلاح الدين الشام يقوله (هما وجهان لعملة واحدة الاول مجاله الأرض مسرحا للانسان والثاني بشري مجاله الانسان صاحب الحق في الوجود على هذا المسرح وبهذين الوجهين تأخذ الجغرافية شكلها الحديث) . وينبغي علينا معرفة أنه يوجد منهج كمي في الجغرافية ومنهج وصفي في الجغرافية ولا توجد جغرافية وصفية أو جغرافية كمية فعلم الجغرافيا يدرس ظاهرات عدة لاينبغي تقرعه بنسمياتها ، يدرسها مجتمعة في المكان ضمن إبعاده الفلسفية ، ويكشف انماطا وعلاقات مكانية منهجه واحد وأبرز مافيه النظرة التكاملية الى الظاهر الطبيعية والانسانية مجتمعة ومتفاعلة في اطار المكان ،ان منهج الجغرافية واحد منطبق على كل مايسمى بفروع الجغرافية ، أما الثنائية فقد بدأت تنظر الى ماهو طبيعي وماهو بشري ، في رأيي ان الجغرافية لاترتضي هذا التقسيم ولو انه شائع ، وتنظر الى الظواهر بأنها مظهرين لشيء واحد وعندما يتسائل الكثيرون لماذا اتجهت الجغرافية الى هذه الثنائيات ؟ ربما اتجهت الجغرافية الى هذه الثنائيات لتقليل الجهد في البحث والتوصل إلى أدق التفسيرات والتحليلات والنتائج للظواهر المتعددة ، حيث ان الجغرافيا تدرس العالم علما ان اقدم الثنائيات في الجغرافيا العامة والجغرافية الاقليمية وتم في القرن التاسع عشر الفصل بين الجغرافيا الطبيعية والجغرافية البشرية (جغرافية الانسان) .ينبغي أن تفهم ان الجغرافيا واحدة ، وان تفرعت من ناحية طبيعتها ومنهجها كما ينبغي أن نفهم أنها ذات طبيعة واحدة ، وتدريسها هكذا **(جاد، المصدر نفسه،ص57).**

الاستنتاجات

1-يعدالفكر الجغرافي من المواضيع الاساسية والمهمة بالنسبة للجغرافيين لأنه موضوع يحدد ماهية علم
الجغرافيا وحدود ابحاثها وعلاقتها بالعلوم الاخرى.

2- كان للحضارات القديمة فضل السبق في النهوض بالكتابات والاكتشافات الجغرافية، واعقبتهم فترة طويلة امتازت بالركود خصوصاً في اوربا، وفي وقت ذاته كان جغرافي العرب والمسلمين لهم الفضل في استكمال هذه الاكتشافات والاضافة لها.

3- حقق الفكر الجغرافي القديم انجازات عدة مفيدة لافتة للنظر وتستحق التقدير بكل تأكيد وكيف لا وهذه الانجازات هي اسهام صادق لخلاصة فكر ذكي فجره حس جغرافي يقظ مع عدم اهمال الدعم الحضاري العريق وقيمته الذي ايد هذا الاجتهاد الجغرافي وظاهره.

4- ان الجغرافية الحديثة نشأت بعد ظهور المدارس الاوربية الحديثة ولاسيما المدرسة الالمانية وبفضل علمائها امثال كانت Kantو همبولت Hunboldt وريتر Ritterاذ وضع هؤلاء العلماء اساليب البحث العلمي الجغرافي وجمعوا المواد وقواعد الاساسية للجغرافية الحديثة.

5- في الوقت المعاصر ونتيجة للتطور الكبير الذي طرأ على تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وتأثيرها على مختلف التخصصات العلمية فأن الجغرافيا ابتعدت عن كونها تعطي وصفا للظواهر

بعيداً عن الواقع بل اصبحت علما تخصصيا يعتمد التفسير والتحليل الالي واستخدام النماذج والنظريات الحديثة واخذ تنحو اتجاها تطبيقيا فيما يعرف اليوم بالجغرافية الكمية.

الخاتمة والمقترحات

استناداً إلى ما توصل اليه البحث من نتائج أكدت أن مؤشرات الفكر الجغرافي تتقاطع بصورة جوهرية مع مفهوم الثنائية في الجغرافية، وأن هذه الثنائية لم تعد تعبر عن حالة انفصال بقدر ما تمثل إطاراً تكاملياً لتحليل الظواهر المكانية، يمكن تقديم التوصيات الآتية:

1.ضرورة تبني المنظور التكاملي للثنائية الجغرافية،من خلال اعتماد رؤية تكاملية تتجاوز الفصل التقليدي بين الجغرافية الطبيعية والبشرية.والتأكيد على اهميتها كمؤشرفي دراسة الفكر الجغرافي.

2.ضرورة تحديث مناهج الجغرافية بما ينسجم مع التحولات في الفكر الجغرافي، من خلال تضمين مفهوم الثنائية بوصفه أداة تحليلية ديناميكية، وليس إطاراً تقليدياً جامداً.

3.التوسع في استخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS) وتقنيات الاستشعار عن بعد، لما لها من دور في دمج وتحليل المؤشرات الطبيعية والبشرية ضمن إطار ثنائي متكامل.

4.ضرورة ربط مؤشرات الفكر الجغرافي بالقضايا التطبيقية، كالتخطيط الحضري والتنمية المستدامة، بما يعكس فاعلية الثنائية كأداة تحليلية في الواقع العملي.

المصادر

1- ابراهيم،عيسى علي ، الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية، دار المعرفة الجامعية ، مصر، 2000 .

2- ابو شامة، قصي ، تطور الفكر الجغرافي، تدقيق سندس ابو سويلم، الشبكة العالمية للمعلومات / الأنترنيت، 2022

3- ابو العال،محمد ، الفكر الجغرافي، مكتبة الانجلو المصرية، بدون ذكر سنة الطبع.

3- الجخيدب، مساعد بن عبدالرحمن ، التكامل بين الفكر الجغرافي والبحث في الظاهرات الجغرافية / رؤية في تحديد مكانة علم
الجغرافية، مؤتمر الجغرافيا والتغيرات المعاصرة، جامعة طيبة، 2012.

4- جاد، طه محمود ، نظرات في الفكر الجغرافي الحديث ، مجلة الجغرافية الكويتية ، العدد 19 ، 2010

5- الجميلي،عامر عبدالله ، المعارف الجغرافية عند العراقيين القدماء ، ط1 ، دار المشرق الثقافية – العراق ، 2011.

6- الجواري، رائد اركان، الاصالة والابداع الجغرافي في الحضارات القديمة ، ط1 ، المكتبة الجامعية الحديثة ، 2012.

7- الجوهري، يسري ، دراسات في الجغرافية التاريخية ، الكتب الجغرافية منشأه المعارف - الإسكندرية ، بلا سنة .

8-الدليمي،صبحي احمد ومحمد،خالد صبار، فلسفة الجغرافية والفكر الجغرافي الحديث، دار امجد للنشر والتوزيع،الاردن،ط1، 2021.

9- رزقانة،إبراهيم أحمد وزملاؤه، الجغرافيا الطبيعية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٧.
10- سعيد ،احمد ابراهيم ، واخرون ، تطور الفكر الجغرافي ، مديرية الكتب والمطبوعات – دمشق ، 2011.
11- الشامي،صلاح الدين، الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة ، النشر ، منشأة المعارف – الاسكندرية ، 1999 .
12- الشمري،عماد ، الفكر الجغرافي المنابع والأصول والمستقبل المأمول ، مطبعة الايك دار الكتب والوثائق ببغداد ، 2012.
13- الصفار،فؤاد محمد ، دراسات في الجغرافية البشرية ، وكالة المطبوعات – الكويت ، 1981.
14- غانم،علي احمد ، تطور الفكر الجغرافي، عمان، دار المسيرة للطبع والنشر، الطبعة الاولى، 2013.
15- الفرا،محمد علي عمر ، اتجاهات الفكر الجغرافي الحديث والمعاصر - نشره قسم الجغرافية ، جامعة الكويت ، يناير 1983 16- فرحان، يحيى ،وابو سمور، حسن والخلف، محمد أحمد ، المدخل الى الجغرافية الطبيعية، جمعية عمال التعاونية،عمان ، الاردن،1991.
16-الفقي،محمد عبد القادر،البيئة مشاكلها وقضاياها وحمايتها من التلوث،الهيئةالمصرية العامة للكتاب،مكتبة الأسرة، القاهرة،1999.
17- فضيل ،عبد الخليل، والمشهداني،ابراهيم عبد الجبار،الفكر الجغرافي ، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، جامعة الموصل،1990
18-الفيل، محمد رشيد ، الجغرافية التاريخية للكويت ، ط1،الكويت ، 1972.
19-كلوزييه ،رينية، تطور الفكر الجغرافي ، تعريب عبدالرحمن حميد ط1 ، النشر : دار الفكر – دمشق ، 1982.
20- محمدين، محمد محمود والفرا،طه عثمان ،المدخل إلى علم الجغرافيا والبيئة، دار المريخ ،القاهرة،ط4،2013
21- المظفر،محسن عبد الصاحب ، فلسفة علم المكان (الجغرافية) ،دار صفاء للنشر – والتوزيع – عمان ، 2005.
22- هارتشون ، طبيعة الجغرافية ، ترجمة الدكتور شاكر خضباك ، ج1، مطابع الموصل ،1984
23- الهيتي ،صبري فارس،واخرون ، الفكر الجغرافي وطرق البحث ، جامعة الموصل ، مديرية مطبعة الجامعة ، 1985..
24- وهيبة،عبد الوهاب محمد، مكانة الجغرافية من الثقافة الاسلامية ، جامعة بيروت العربية ، 1979.
25- وهيبة،عبد الفتاح محمد ، الجغرافية التاريخية بين النظرية والتطبيق ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت، 1980.

(Indicators of the Importance of Studying Geographical Thought)

Assist.Prof.Dr. Hanan Hussein Daryoul
Al-Mustansiriya University - College of Basic Education –
Department of Geography

Abstract:

This research aims to highlight the importance of studying geographical thought by analyzing its cognitive,methodological, and applied dimensions, and to shed light on its role in developing spatial analysis tools and understanding the transformations that geography has undergone. eographical thought represents the theoretical framework upon which geographical studies rely to interpret and analyze spatial phenomena.It reflects an accumulation of knowledge that has developed through multiple historical stages,contributing to the formulation of research methodologies and approaches in this field. With the acceleration of global transformations, it is no longer possible to understand spatial problems in isolation from the intellectual frameworks that explain them. The research employs a descriptive-analytical approach by tracing the development of geographical thought through its various stages. It also focuses on highlighting the relationship between geographical thought and other scientific disciplines, and its impact on addressing contemporary issues.The research concludes that understanding geographical thought is a scientific necessity for enhancing the ability to interpret spatial phenomena and developing geographical research methodologies. The research recommends integrating geographical thought into educational curricula and intensifying studies that reinterpret geographical heritage in a way that aligns with the demands of the modern era.

Keywords: Geographical knowledge, geographical thought, the nature of geographical thought, the duality of geography